Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا إنما هو مسجد يحمل إليه، ولا يحمل عنه، تتجنبه الشرط نهاراً، ويتوقاه العسس ليلا، فهو إما غانم وإما سالم.

وأما الغنى فإنما هو كالغنم، غنيمة لكل يد سالبة، وصيد لكل نفس طالبة، وطبق على شوارع النوائب، وعلم منصوب في مدرجة المطالب يطمع فيه الأخوان، ويأخذ منه السلطان، وينتظر فيه الحدثان، ويخيف ملكه النقصان.

وكتب «البديع» إلى الإمام الشيخ أبي الطيب يعزيه بقوله:

(تالله مايضرب الكلب، كما يضرب هذا القلب، ولا يقطر الشمع كما يقطر هذا الدمع، والنار أرفق بالزناد من هذه المصيبة بالأكباد، وما للسم سلطان هذا الغم، ولا للخمر طغيان هذا الأمر، ونفسي إلى القبر أعجل منها إلى الصبر، وأذناي بالموت آنس منهما بهذا الصوت، أو لم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح، ألم أكن من أبي القاسم مثقل الظهر فما هذه العلاوة على الحمل؟ ولم هذه الزيادة على الثقل:

والحمد لله الذي كدّر وصفاً، وصلواته على نبيه المصطفى. وآله المجتبي ولولا أن يتطير الشيخ من مقدمي، فيقول لا يأتيني إلا عند مصيبة لسقيت تربة هذا النجم الآفل من دموعي، وقدمت أجداثه بضلوعي[1]، ولكنه ألقى في روعي أن خدمتي هذه طيرة، وأن تأخري عنها خيرة، فكلما استخفني إليه الجزع أقعدني عنه الفزع. ولو كان أحد من البرية فوق أن يذكر بالله، لكأنه الشيخ، أدام الله عزه، لما أوتي من تمام النفس، وكمال الفضل والمعرفة بأحوال الدهر والعض على ناجذ الحكم[2]، ولكن لفقد الكريم لوعة، ولفجأة المصيبة روعة، ليس لها إلا التدبير، والتذكير والتذكر، فأنا أذكر الله عز وجل الذي أنفذ في مشارق الأرض أمره، وأجرى بين اللحوم والجلود حكمه؛ وجعل أكثر هذا العافي دونه، وصان مع ذلك من الشوائب دينه، وأبقى له من

(١) أي جعلت ضلوعي أجداثاً ـ قبوراً ـ له

(٢) الناجذ: الناب